



قبل اسبوعين تقريباً، أطلق الرئيس الأميركي دونالد ترامب تصريحات قال فيها أنه جاهز للتفاوض مع الايرانيين في أي مكان وبدون شروط مسبقة، يومها جرى التعاطي مع هذا التصريح كما يتعاطى البعض مع الآية القرآنية "لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى"، فالنهي عن الصلاة مرتبط بحال الشمالة، لكن يبدو أن هناك من ثمل من هذا التصريح وأطلق العنان لتحليلات سياسية تظهر الرئيس الأميركي بموقع المتراجح عن تهديداته ووعده ووعيدته لعدوه الأول ايران، وتناسوا أن ترامب يريد الوصول لمرحلة التفاوض تلك حتى لو كان مسرحها طهران لأنها حكماً ستعني اعترافاً ايرانياً بأن اتفاق العام 2015 المعروف باتفاق دول 5+1 سقط، و الهدف هو الوصول إلى اتفاق نووي جديد يلغي الاتفاق الحالي كلياً، بل ويكمل الحصار المفروض على ايران بالملفات التي تسبب كابوساً للكيان الصهيوني أقلها برنامج الصواريخ الباليستية.

لكن بواقعية تامة فإن البناء الإيجابي على تصريحات ترامب يومها كان لها ما يبررها، فهي تلت قمة ترامب مع الزعيم الكوري الديمقراطي كيم جونج أون، وقمة هيلسنكي منتصف الشهر الماضي والتي جمعت إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وما رشح عنها من أجواء ايجابية وإن كانت هذه الأجواء لم تنعكس حتى الآن على أي من الملفات، لكن الأهم أن كلام ترامب تلى تصريحات وتهديدات إيرانية عالمية الملهجة متعلقة باستخدام القوة للرد على تهديدات خارجية، وصولاً لإخلاق مضيق هرمز في حال تأثرت صادرات النفط الايرانية بعد أن رفعت الإدارة الأميركية من جديد سلاح الحرب بالماقتصاد، ما أوحى وكأن ترامب تراجع من على حافة الهاوية، لكن يبدو أن حسابات حقل التصريحات الأميركية، لم يطابق حسابات بيدر التحليلات السياسية إذ أعلن الرئيس الأميركي قبل أمس إعادة فرض العقوبات الأميركية على ايران بمرحلتين دخلت الأولى رسمياً حيز التنفيذ أما الثانية وهي الأقسى فستكون في شهر تشرين الثاني المقبل وستشمل عمود الماقتصاد الايراني أي صادرات النفط والغاز، ليخلط قرار الرئيس الأميركي من جديد الأوراق ليس في المنطقة فحسب وبتجاهين، الأول وهو ما يمكننا تسميته (صديق / حليف) لإيران ويتمثل بدول لها ثقلها كروسيا والصين اللتان رفضتا هذه العقوبات، أما الاتجاه الثاني فهو المتمثل بتحالف المصالح الماقتصادية مع ايران أي الاتحاد الاوربي الذي لا يبدو حتى الآن أنه سيرضخ لقرار ترامب حتى ولو كان يشعر بأن هذه العقوبات ستدال منه وهو ما عبر عنه الرئيس الايراني حسن روحاني بالمقول: هذه العقوبات لاتستهدف ايران فحسب لكنها تستهدف الدول الاوربية.

ربما التوصيف الأدق لقرار العقوبات الأميركية على إيران أنه وحد الأعداء والاصدقاء على رفضه ليبقى معه "اسرائيل" ومن يلتحق بها من "اسرائيليات" المال المنفطي في خليج الخيانة العربي، عقوبات بدت وكأنها تستهدف العالم بأسره لا إيران لأنها بالأساس تمرد على القرار رقم 2231 الصادر عن مجلس الأمن والذي صادق على الاتفاق الدولي بين إيران ومجموعة الدول 5+1، كما أنه سيصيب حلفاء ترامب "الناطويين" قبل غيرهم بالمارتباك الديبلوماسي فمأهي السيناريوهات المتاحة على الساحة الدولية بعد هذا القرار الأميركي؟

ربما إن السيناريوهات المطروحة تقودنا نحو فرضية السواد الذي يلف هذا المنعطف الخطير، إذ لايمكننا مثلًا التفكير بإيجابية بأن تكون هذه العقوبات نوع من سعي الأميركي لحفظ ماء الوجه لا أكثر ولما أقل، أو بصيغة تنفيذية غير حازمة من قبل وزارة الخزانة الأميركية يستفيد منها دونالد ترامب بأن يكمل ولايته بهدوء كون الترجيحات جميعها تشير إلى أن احتمال إعادة انتخابه بعيد المنال، لكن هذا الكلام يبدو نوعاً ما عاطفياً فالدولة العميقة التي تحكم الولايات المتحدة لم تسامحه حتى الآن على ظهوره المهزيل بوجه فلاديمير بوتين، فكيف لها أن تفوت فرصة التخلص من أعباء الاتفاق النووي مع إيران، وبمعنى آخر يبدو أن الإدارة الأميركية جادة حكماً بتطبيق العقوبات وتحمل تبعات الخروج من الاتفاق النووي مع إيران، حتى لو أدى ذلك للوصول إلى المواجهة الكبرى التي يريدتها رئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو، لكن بغطاء أميركي افتقده خلال فترة الرئيس السابق باراك اوباما ويراه ممكناً مع رئيس مهزوز كدونالد ترامب، والأهم كيف لعامل أن يستسلم لفرضية أن هذه الولاية الرئاسية هي الأولى والأخيرة لدونالد ترامب، فمن كان يتوقع نجاحه أساساً؟!

كذلك الأمر لايمكن المتعاطي مع هذا التحول الخطير دون إغفال وجهة نظر دونالد ترامب بحلفائه الاوربيين، فهو وصل معهم لمرحلة إذلالهم بالتصريحات المهينة ومعاقبتهم اقتصادياً، وبمعنى آخر:

إن كان ترامب يرى بإيران "عدو" يجب عليها أن تسلم حتى سكاكين المطبخ، فإن نظرتة للاتحاد الأوروبي لاتفرق كثيراً تحديداً أن الخلاف مع الاتحاد الاوربي يتعدى السياسي ليصل لنقطة ضعف ترامب أي التجاري، وقد يكون هدفة من هذا التصعيد تحجيم الاتحاد الاوربي الذي يبدو أنه بين خيارين، إما أن يسير خلف مايريدته ترامب أو الاستعداد لمواجهة اقتصادية مع الحليف الأميركي، وإذا كانت الدول المؤثرة في الاتحاد الاوربي واضحة لجهة عدم الالتزام بالعقوبات، إلا أن حالة من الغموض تلف سعيها لحماية الشركات الأوروبية العاملة في إيران، إذ يبدو هذا الكلام نوعاً من بيع الوهم، فالالاتحاد الاوربي لايمتلك هذه القدرة تحديداً أن الأميركيين لا زالوا يسيطرون على مفاتيح التجارة العالمية بما فيها حركة التحويلات المالية بين المصارف الكبرى والتي تخضع لرقابة أمريكية ستعيق عمل المصارف الأوروبية التي هي بالنهاية عصب الحياة لكبريات الشركات الأوروبية العاملة في طهران.

كذلك الأمر لابد من التأكيد □ أن هذا التصعيد الترامبي في شقه الأوربي سلاح ذي حدين، هو لايساهم فقط بزياده العزلة الأميركية لكنه سيدفع الاوربيين حكماً نحو الحوض الروسي الذي لايزال قادراً على أن يقدم نفسه كشرريك تجاري يحترم العهود والمواثيق، كما أن استنساخ التصعيد في وجه الحليف التركي وتطبيقه في المشق الأوربي لا يبدو مجدداً فالنظام التركي يعاني أساساً من اقتصادٍ شبه منهار سيدفعه لتقديم التنازلات هنا وهناك فماذا ينتظرنا؟

على مدى مايقارب العقد خاضت ايران حرباً ضروساً في المشق الديبلوماسي حتى الوصول إلى الاتفاق الحالي، حرباً لم تكن دقيقة فقط حتى باختيار العبارات لكنها استدعت وجود رئيسٍ محسوب على مايسمونه "التيار الاصلاحى"، ومع ذلك خرجت باتفاقٍ أشاد بأهميته العدو قبل الصديق، لذلك فإن مجرد قبول المايرانيين مستقبلاً الجلوس على مائدة المفاوضات سيعني حكماً هروب العديد من المكتسبات التي حصلت عليها من بين أيديها، ربما يعي المايرانيون قبل غيرهم خطورة هذا الأمر ولما يبدو أنهم يواردها هكذا هزيمة مجانية، لكن وبواقعية أيضاً فإن قدرة الاتفاق على الصمود لانتعلق بإيران فحسب، هي عملية معقدة تنتظر التزام باقي الدول التي وقعت على الاتفاق وعدم اللحاق بركب ترامب.

اليوم يبدو الموضوع مختلفاً إذ إن مايريد ترامب يختلف تماماً عما كان يريده دول 1+5 مجتمعة، بل إن ترامب يرى نفسه اليوم يمتلك أوراقاً أكثر قوة بما فيها مايسمونه "الاحتجاجات الشعبية في ايران"، أو تدهور العملة الرسمية المايرانية، وبمعنى آخر يريد ترامب أن يلعب مع ايران على حبلتي العسكري والاقتصادي، على أمل أن يستيقظ حلفاؤه الاوربيين ويتصلون من الاتفاق، فهل إن هذا سيعني حرباً اقتصادية تستنزف ايران ببطء بانتظار ما ستؤول إليه "الاحتجاجات" أم حرباً مباشرة؟

كل الاحتمالات لا تزال قائمة فالاسرائيلي المستعجل هلاك ايران لا يريد لهذه الفرصة أن تموت مهما كلف الثمن، والحديث عن ذاتو "عربي اسرائيلي" لهذا الهدف لم يعد ضرباً من الخيال، وبمعنى آخر، قبل سنوات كتب مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي، المتطرف جون بولتون مقالاً قال فيه:

المطريقة الوحيدة لمنع ايران من امتلاك قنبلة نووية هي أن نقصف ايران.

فتشوا عن الذي جلب بولتون وأعادته للحياة السياسية بعد أن كان منسياً، لتعرفوا أن الأمر ليس مجرد عقوبات بل إن ترامب يريد أن يعاقب العالم أجمع، لكن عليه أن يتذكر أن الحروب العابرة للحدود تستطيع بساديّتك أن تبدأها، لكنك حكماً لن تمتلك خيار انهاءها.

الوطن السورية

عين الجمهورية